



OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 2024-6-10

تاريخ القبول: 2024-6-15

تقرير حول الندوة الدولية «المذاهب الفقهية في العصر الكلاسيكي: التاريخ والمجتمع»

29-30 مايو 2024

د. عبد الغني سلطان الفقيه⁽¹⁾alfakeeh32@gmail.com

نظم مركز نماء للدراسات والأبحاث بالرباط بتعاون وشراكة مع معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مونستر، يومي الأربعاء 29 والخميس 30 مايو 2024، ندوة دولية بعنوان «المذاهب الفقهية في العصر الكلاسيكي: التاريخ والمجتمع». وقد نسق الأشغال التنظيمية كل من عبد الغني الفقيه (مركز نماء)، وعبد الرحمن زعتري (جامعة مونستر)، ومحمد الريوش (جامعة محمد الخامس)، وإلياس أمحرار (مركز جاك بيرك). تندرج الندوة ضمن سلسلة من الندوات التي يحتضنها مركز نماء، وتحمل عنوان: «المعارف الإسلامية: رؤى سياقية». حيث يحاول المركز من خلال هذه الندوات، إفساح المجال للباحثين لإعادة التأريخ للعلوم الإسلامية وقضاياها واستثمار المعطيات العلمية الجديدة، والمناهج الحديثة في أوراقهم العلمية، مع الانفتاح على مختلف التخصصات الإنسانية من أجل كتابة تاريخ مركب للعلوم الإسلامية وسياقات تطورها.

شارك في أشغال الندوة أكثر من 20 باحثًا وخبيرًا في التاريخ الثقافي للمجتمعات الإسلامية في العصر الكلاسيكي (من القرن 4 إلى منتصف 7 الهجري)، ينتمون إلى عدة جامعات ومؤسسات بحثية في العالمين العربي والغربي. حيث حاولوا من خلال أوراقهم العلمية، مساءلة قضايا متعلقة بتاريخ الشريعة ومجتمعاتها من جهة، ومحاولة استكشاف جوانب جديدة من تاريخ الفقه والشريعة لم

(1) مدير تحرير دورية نماء، ومدير أكاديمية نماء للعلوم الإسلامية والإنسانية، وباحث في الفقه وأصوله وفقه السياسة الشرعية..

للاقتباس: الفقيه، عبد الغني سلطان، تقرير حول الندوة الدولية «المذاهب الفقهية في العصر الكلاسيكي: التاريخ والمجتمع» 29-30 مايو 2024، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج8، ع2، 2024، 226 - 232.

Cite this article as: Khalil, Fatima, Report the International Symposium: «Early Jurisprudential Trends and the Question of Origin», Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V8, issue 1, 2024: 292-305.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

تُبَحِّثُ بالشكل الكافي من قبل في الأكاديمية العربية والدولية الحديثة.

وقد ألقى الدكتور حيدر حب الله محاضرة افتتاحية الأولى، يوم 29 مايو 2024، بعنوان «نظرية القياس عند الإمامية وتحولاتها من القرن الرابع إلى السابع الهجريين». حاول المحاضر رصد المشهد الإمامي تجاه (القياس) منذ القرن الرابع الهجري وصولاً إلى القرن الثامن، من خلال استكشاف احتماليات وجود انقسام حول القياس في القرنين الرابع والخامس، قاده الشيخ ابن الجنيد الإسكافي (ق 4هـ)، والذي اهتمته مدرسة بغداد (المفيد والطوسي والمرتضى) بالأخذ بالقياس، وقد كان لهذا التجاذب دور -فيما يبدو- في مبالغة مدرسة بغداد في رفض القياس، حتى أنها رفضت القياس منصوص العلة الذي عاد الشيعة لاحقاً واتفقوا تقريباً على حجّيته. كان موقف مدرسة بغداد من ابن الجنيد حاسماً وقاطعاً حتى أنّ ذلك أدّى إلى غياب تراثه تماماً من حياة الشيعة، إلى أن عثرت مدرسة الحلة (ق 8.7هـ) على بعضٍ قليل جداً من بعض كتبه، فأعجبت بها كثيراً، وتمّ تداول هذا القليل الذي عُثِرَ عليه من قبل العلامة الحليّ إلى يومنا هذا. صاحب إعجاب مدرسة الحلة بأعمال ابن الجنيد الفقهيّة ظهور زحزحة في الموقف الإمامي من القياس، فقد تمّ على يد أمثال المحقّق الحليّ التفصيل في مسألة تنقيح المناط بين القطعي والظنيّ، فاتحاً المجال لتنقيح المناط القطعي بعد أن كان محظوراً في أدبيات الاجتهاد الإمامي، كما أُعيد النظر في القياس منصوص العلة، وبدأت رحلة الحديث عن مفهوم «آليات التعديّ عن النصّ».

1. التشكلات الكلاسيكية في المدارس الفقهية السنية

انطلقت أشغال الجلسة الأولى من اليوم الأول للندوة بجلسة علمية حول التشكلات الكلاسيكية للمدارس الفقهية السنية، وقد ترأّس الجلسة الدكتور محمد الريوش. وألقى في مستهلها الأستاذ أنس سرميني أولى مداخلات الجلسة الأولى، ذات عنوان «حجّية السنة والمقاربات التوفيقية بين مدرستي الرأي والحديث في القرن السابع، المنبجي (686هـ) وابن الساعاتي (694هـ) أنموذجاً»، حلل من خلالها عينات مختارة من كتب الحنفية ككتاب (بديع النظام) لابن الساعاتي الحنفي، و(الجواهر النقي على سنن البيهقي) لابن التركماني وغيرهما، بغية تحديد المقاربات التوفيقية المحتملة بين المدرستين، وتوضيح آليات عملها، وبيان مآلات المقاربات تلك وأثرها في التصنيف الأصولي الحديثي لاحقاً في كلّ من مدرسة الحديث والرأي.

أشار المحاضر إلى أن دراسته انطلقت من فكرة أملت لها عليه عدة نتائج دراسات قام بها سابقاً، متعلقة بأصول أهل الحديث وأهل الرأي فيما يتعلق بحجية السنة وسلطتها، حيث خلص فيها إلى أنّ القرن السابع الهجري كان ذروة التفاعل بين أصول المدرستين، مدرسة أهل الحديث وأهل الرأي، فيما يتعلق

بحجية السُّنَّة ومركزيتها في التشريع، وأنه كان قرن التقارب بين مدرستي الرأي والحديث آنذاك وذلك من جهات ثلاث: تمثلت الأولى في ظهور تيار أهل الأثر داخل مدرسة الرأي، وتمثلت الثانية في ظهور منهج جديد في التأليف في أصول الفقه، وهو منهج الجمع بين طريقة الفقهاء وطريقة المتكلمين، وأما الجهة الثالثة فقد تمثلت في انقسام مدرسة الأصول الحنفية إلى مدرسة عراقية وسمرقندية، وهو ما مهد لظهور منهج جديد في التصنيف في أصول الفقه، مال من خلاله السمرقنديون إلى مدرسة المتكلمين.

أما الدكتور إسماعيل بعاق (أكاديمية إيلام/تركيا)، فقد قدم ورقة عن الإمام الجصاص، عنوانها «الإمام الجصاص في إطار السياق التاريخي لتطور الجدل الأصولي في المذهب الحنفي»، حيث رصد فيها الدور الأساسي للإمام الجصاص في ظهور مرحلة جديدة من الجدل الفقهي والأصولي في المذهب الحنفي، كما رصد بعض أهم معالم وخصائص الحجاج والجدل عنده من خلال نصوصه التي وصلتنا.

أما الدكتور محمد المعلم (جامعة جورج تاون/الولايات المتحدة الأمريكية)، فقد قرأ ورقة علمية باللغة الإنجليزية، عنوانها: «الاجتهاد والتقليد في العصر الكلاسيكي: التفكير الفقهي عند الماوردي ومصادره السياقية»⁽²⁾، راجع فيها التصورات الأكاديمية الحديثة عن الماوردي وتصوره للاجتهاد والتقليد، والتي انتقد الباحث قصورها في تتبع نصوص الماوردي، والاقتصار في استخلاص النتائج على كتابه (الأحكام السلطانية). خلص إلى أن هناك مستويات عدة عند الماوردي في الاجتهاد والتقليد والأدوار التي يقوم بها كل واحد منها بناء على المعطيات والضرورات الاجتماعية والتحديات السياسية التي كانت قائمة في عصره.

واستهلقت الفترة المسائية من أشغال الندوة، والتي أدارها الأستاذ المبروك المنصوري (جامعة السلطان قابوس)، بمدخلة علمية للدكتور عطا الله مدب حمادي الزوبعي (باحث مستقل/العراق)، عنوانها: «أخبار الأحاد عند الظاهرية من الظن إلى اليقين: التطورات التاريخية والأثار الفقهية». تناول فيها إشكالية خبر الواحد، وتاريخ النقاش حول إفادته الظن أو اليقين، والمحطات الكبرى في النقاشات المتعلقة به؛ حيث توقف مطولاً عند مرحلة ابن حزم، حلل فيها موقفه من خبر الواحد، وقارن بين موقفه وموقف مؤسسي المذهب الظاهري. لينتقل بعد ذلك إلى موقف ابن الصلاح من نفس القضية، والنقاشات الحديثة والفقهية الكثيرة التي أثارها هذه المسألة.

لتعقبه مدخلة للباحثة يسرى والشاف (جامعة عبد المالك السعدي/المغرب)، قرأت من خلالها

(2) العنوان الأصلي للورقة هو:

The Double Emphasis on Ijtihad and Taqlid in the Classical Period: Al-Mawardi's (d. 450AH/1058CE) Jurisprudential Thought and its Sources in Context.

ورقة علمية بعنوان «مفهوم العلم عند ابن العربي المعافري وأثره في الرد على نفاة القياس»، بينت من خلالها مفهوم العلم عند ابن العربي، ورصدت معالم تأثيره تصورهِ للعلم على نقاشاته المستفيضة مع الظاهرية، خاصة في مسألة القياس، التي شكلت نقطة خلافية رئيسية بين المذهبين في الأندلس. أما الدكتور مولاي أحمد أمناي (باحث مستقل/المغرب) فقدم ورقة بعنوان «تطور تخريج الأصول من الفروع عند المالكية في العصر الكلاسيكي: مقارنة تاريخية». حيث استقرأ المادة التاريخية المتاحة لرصد تطور فكرة التخريج عند المالكية، خاصة أن تخريج الأصول من الفروع في العصر ما قبل الكلاسيكي (عصر الأسمعة) لم يكن واضحًا كشأنه بعده، والباحث في التراث لا يجد كبير شيء إلا أقوالاً مجملة منقولة عن إمام المذهب. ما دفع الفقهاء إلى تطوير هذا المبحث، والذي ارتبط ارتباطًا وثيقًا بتطور الفكر الأصولي.

بعد ذلك تحدث الدكتور حمزة عدنان مشوقة (مديرية البحوث بدائرة الإفتاء/الأردن) فقد اختار لورقته عنوان «أثر المدرسة الخراسانية على نشأة مقاصد الشريعة»، حاول أن يرصد من خلالها جذور نشأة علم المقاصد، والأصول الخراسانية لهذه النشأة، محاولًا تحليل بعض الأسباب المحتملة لنشأة مقاصد الشريعة عند المدرسة الخراسانية الشافعية وإضافات هذه المدرسة إلى علم المقاصد. وقدم الدكتور مجاهد الحوت (جامعة أغري إبراهيم تشيشن/تركيا) مداخلة بعنوان «تفسير آيات الأحكام والفقهاء المقارن: العصر الأول للنشأة والتطور»، رصد فيها تطور التصنيف في آيات الأحكام وتحليل المادة العلمية التي تضمنتها كتب الحديث وكتب آيات الأحكام في المذاهب الإسلامية السنية المختلفة. لتختتم أشغال اليوم الأول من الندوة بمداخلة للباحث محمد ياسر شاهين (جامعة توبنغن/ألمانيا) بعنوان «أغراض التأليف العامة واستكشاف مفهوم الفقه عند الحنفية إلى القرن الخامس الهجري»، حاول أن يرصد فيها الاهتمامات الفقهية عند شيوخ الأمصار، ومسالكهم في الدرس والاجتهاد، وأيضًا الحاجات والتحديات العلمية وتأثيرها في التصنيف الفقهي ومناهجه عند الحنفية في العراق وما وراء النهر إلى غاية القرن الخامس الهجري، سواء أكان المصنف ردًا جدليًا أو مؤلفًا تحليليًا أو حصر مسائل الخلاف إلى غير ذلك من فروع التصنيف الفقهي.

2- التشكلات الكلاسيكية في المدارس الإسلامية المختلفة

ثم ألقى الدكتور علاوة عمارة وهو أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة الأمير عبد القادر بجمهورية الجزائر الشعبية، في اليوم الثاني من أيام الندوة 30 مايو 2024، محاضرة افتتاحية بعنوان

«ملاحظات عن تشكل الجماعات والمذاهب الإسلامية في مغرب ما قبل القرن الخامس الهجري». حيث أشار المحاضر إلى أن بلاد المغرب عرفت انتشاراً لجماعات متنوعة ومتعددة تدعي في مجملها تمثيلها الحصري لجماعة المسلمين، حيث سرعان ما بلورت رؤية عقديّة وفقهية بجانب منظورها السياسي فيما يتعلق بإمامة المسلمين. فإذا كانت مختلف تيارات الإباضية والصفيرية والمعتزلة قد لاقت نجاحاً لافتاً في وسط المجتمعات المحلية الرعوية تحديداً في منطقة طرابلس وجنوب إفريقية والجهات الوسطى والغربية لبلاد المغرب، فإن تيارات سياسية وعقديّة وفقهية سرعان ما انتشرت لدى المجتمعات الزراعية المستقرة في المناطق الشمالية لإفريقية وصولاً إلى المغرب الأقصى خصوصاً تلك التي ستعرف لاحقاً بأسماء الشخصيات الكريزماتية التي نُسبت إليها ونقصد بذلك الأوزاعية والثورية والحنفية والمالكية والزيدية والإسماعيلية وغيرها. واقترح المحاضر، قراءة جديدة لهذا التشكل وكيف تأثرت هذه الجماعات فيما بينهما واستدخالها لفقهاء الجماعات المناوئة لها، وأيضاً التنوع الفكري داخل نفس الجماعة وكيف تبنت جماعات المعتزلة للمشاريع السياسية لجماعات عقديّة مختلفة وصولاً إلى تبنيها للذاكرة الإباضية من الناحية السياسية.

لتنطلق أشغال الجلسة الأولى، والتي أدارها الباحث يحيى عالم (جامعة أوسنابروك/ألمانيا)، ألقى في مستهلها الأستاذ محمد العادل لطيف (جامعة جندوبة/تونس) مداخلة علمية بعنوان «مؤسسو ديوان العزابة وأثرهم في المجتمع بجزيرة جربة بداية من القرن الخامس الهجري». رصد من خلالها التاريخ السياسي المضطرب للإباضية في شمال إفريقيا، والمحن السياسية التي تعرضوا لها، ما أدى إلى تناقص أعدادهم، وتأثر حياتهم الاجتماعية، الأمر الذي دفع إلى ابتداء نظام فقهي واجتماعي أسهم في الحفاظ على وجودهم الثقافي والديني في جزيرة جربة التونسية خلال القرن الخامس الهجري وما تلاه.

أما الأستاذ أحمد الخروصي (جامعة السلطان قابوس/عمان) فقد قرأ ورقة بعنوان «جامع ابن بركة والتأسيس الإباضي لأصول الفقه»، حاول من خلالها تحليل نصوص ابن بركة للوقوف على استمداداته الأصولية، وعلاقة كتابه برسالة الإمام الشافعي، كما حلل أيضاً جوانب التميز والتفرد في مصنف الإمام الإباضي الذي يعد -حسب المحاضر- من أوائل من أَلَّف في أصول الفقه على قواعد وأصول المذهب.

3- الاجتهاد والجدل في العصر الكلاسيكي

في الفترة المسائية، ألقى الأستاذ أحمد الكندي المحاضرة الافتتاحية الأخيرة ضمن أشغال المؤتمر، بعنوان «الفقه السياسي عند الإباضية نظرياً وتطبيقاً من القرن الثالث إلى السابع الهجريين»، سلط

خلالها الضوء على العلاقة التي تربط الفقه بالسياسة في التجربة الإباضية، من خلال استعراض محطات أساسية في التاريخ السياسي الإباضي المبكر والوسيط. لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الأفكار الكبرى في الفقه السياسي الإباضي، حيث تناول مفهوم الإمامة وأحكامها وخصائصها في الفقه الإباضي، ثم تطرق للشروط التقنية في تولية الإمام، وعقد الإمامة وغيرها من القضايا المتصلة بهذا المبحث المهم في التاريخ السياسي الإسلامي بشكل عام، والإباضي بشكل خاص.

لتنطلق أشغال الفترة المسائية بإدارة الدكتورة فاطمة خليل (مركز نماء/المغرب). ألقى في مستهلها الأستاذ عبد الواحد الحسيني (جامعة مولاي إسماعيل/المغرب) مداخلة علمية بعنوان «المشروع الفقهي لابن حزم من النقد إلى إنتاج النص الفقهي» حاول من خلالها تلمس ملامح التميز في التفكير الفقهي عند الإمام ابن حزم من خلال مدونته الأصولية وجدالاته الفقهية مع مالكية عصره.

أما الباحث عبد الإله بوذيب (جامعة مولاي إسماعيل/المغرب) فقد كان عنوان ورقته «الهجوم على النقل: كيف تلقى النظائر تشكيك الرازي على يقينية الدليل النقلي؟» حاول تسليط الضوء على النقاش الذي أثاره الرازي في المحصول وعدد من أعماله الأخرى، بخصوص إفادة الأدلة اللفظية لليقين. وخلص الباحث إلى أن مشروع الشاطبي المتمثل في كتاب الموافقات كان محاولة لتجاوز ما أثاره الرازي من نقاشات حول الدليل اللفظي.

أما ورقة الدكتور عبد العزيز تاشفين (باحث مستقل/المغرب)، فقد اختار لها عنوان «لماذا اندثر المذهب المالكي في العراق؟» تتبع فيها الأسباب العلمية والاجتماعية لاندثار المذهب في العراق وتراجع مكانته هناك لصالح ازدهار ثاني في الغرب الإسلامي. بيّن من خلال ورقته كيف أن خروج منصب القضاء من يد المالكية، واضطرار بعض أهم فقهاء المالكية إلى الهجرة عن العراق قد أسهما بشكل واضح في تراجع نفوذ المذهب وبريقه العلمي.

وبعد فترة استراحة، انطلقت أشغال الجلسة الأخيرة بورقة للدكتور عبد الرحمن زعتري (جامعة مونستر/ألمانيا) اختار لها عنوان «الكتابة الفقهية في عصر الاضطراب: تشكل أدبيات الجدل الفقهي والانعكاسات السياسية على تطوره في العصر الكلاسيكي»، حاول أن يقترح تحقيباً تاريخياً لتطور فن الجدل، وعلاقة كل مرحلة من مراحل بالتغيرات العلمية والسياسية التي طرأت على البلدان الإسلامية في العصر الوسيط. حيث أشار الباحث إلى وجود ثلاث مراحل أساسية في تاريخ الجدل؛ أطلق على المرحلة الأولى (مرحلة المفاهمة)، وسمى الثانية (مرحلة الجدل المبكر)، أما الثالثة فقد اقترح أن تسمى (مرحلة الجُست). وحاول أن يبين الأسباب العلمية والسياسية لرفض عدد من الفقهاء كابن تيمية

وتلامذته لهذا النوع من الجدل رفضاً شديداً.

أما ورقة الأستاذ نور الدين الحميدي (جامعة القاضي عياض/المغرب) فقد حملت عنوان «المناظرة الفقهية بالأندلس: النشأة والتطور»، وقف خلالها مع محطات من تاريخ المناظرة العلمية في الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس، ليخصص حيناً كبيراً لابن حزم ومناظراته مع فقهاء عصره المالكية. وقد تعرض بتفصيل للسياقات السياسية والاجتماعية لتطور فن المناظرة في الأندلس، وحلل أسباب الحدة التي شهدتها المناظرات الفقهية والكلامية والأصولية خلال القرن الخامس الهجري.

تلتها مباشرة ورقة الدكتور محمد عبد الرحيم (جامعة بادابورن/ألمانيا)، التي كان عنوانها «تصويب المجتهدين: جدلية تعدد الحق في علم أصول الفقه عند الإمام الجصاص وأبي الحسين البصري». وقد أشار الباحث إلى أن الإمام الجصاص الحنفي كان أول من خصص باباً في كتابه (الفصول) حول «خطاب عبيد الله بن الحسن العنبري». قبل أن يصبح هذا الرأي جزءاً لا يتجزأ من الجدل الأصولي حول حدود الاجتهاد وشروطه ولا سيما عند القاضيين الباقلاني وعبد الجبار الهمداني، ومن تلاهم. ليحلل أصول مقولة تصويب المجتهدين عند العنبري، وامتداداته الفقهية والكلامية، وما أفرزته من جدالات، مبيئاً أن هذا الأمر ألقى بظلاله على التطبيق العملي لمبادئ وتعاليم الأصول في الأحكام الفقهية، وبالتالي على الإفتاء الديني ومن ثم الممارسات الدينية في المجتمع الإسلامي، وهو ما حاول أن يحلله من زاوية مذهبية وتاريخية.

لتختتم الجلسة بمناقشة ختامية عامة، أبدى فيها المشاركون انطباعاتهم حول الندوة وأشغالها، وما طرح خلالها من أفكار وموضوعات، وقد توافق المشاركون على أن الموضوع لا يزال يحتاج الكثير من البحث، وعقد المزيد من الندوات لتغطية جوانب كثيرة لم يكن من الممكن أن تغطيها الندوة لإكراهات الوقت والحيز الزمني. وقد أثنى المشاركون على هذه المبادرة الفريدة مؤسسة نماء، وعلى إتاحتها الفرصة للباحثين في تاريخ الفقه لعرض نتائج أبحاثهم، ومشاركتهم مع زملائهم الباحثين.

وقد ألقى الدكتور عبد الغني الفقيه كلمة أخيرة شكر فيها المشاركين والمتدخلين على إنجاح أشغال الندوة الثانية من سلسلة ندوات «المعارف الإسلامية: رؤى سياقية»، ضارباً للباحثين موعداً آخر يُدعى فيه إلى المشاركة بأوراق ومقترحات بحثية حول الفقه وتاريخه في المرحلة ما بعد الكلاسيكية والتي تمتد من منتصف القرن السابع الهجري إلى ما قبل اجتياح الحداثة البلدان الإسلامية.